حملة العشرة آلاف

«الحملة على فارس»

صلاح سعدالله

صدر مؤخراً كتاب بعنوان «حملة العشرة آلاف — الحملة على فارس» لـ «زينفون» الأغريقي ترجمه «عن الأنكليزية» السيد «يعقوب أفرام منصور» عن الترجمة الأغريقية التي قام بها السيد «ريكس ورنر». يقع الكتاب في أربعمائة صفحة وقد طبع في مطابع جامعة الموصل. ونشرته «مكتبة بسام» في الموصل.

يؤرخ الكتاب قصة المرتزقة الأغريق الذين جندهم «كورش» عام ٤٠١ قبل الميلاد لمساعدته على أنتزاع العرش الفارسي من أخيه الملك «أردشير» بعد موت والدهما. أذ يروي قصة مسيرة هؤلاء المرتزقة من «سرديس» في «أسيا الصغرى» — قرب مدينة «أزمير» الحالية على الساحل الغربي من تركيا الى أعالي «الفرات». ثم بمحاذاة النهر الى «بابل» والعودة. بعد فشل المهمة. بمحاذاة نهر «دجلة» هذه المرة وعبر «كردستان» الى «طرابزون» على ساحل البحر الأسود حيث أستقلوا السفن الى اليونان.

شارك المؤلف «زينفون» في الحملة وقاد الأغريق في مسيرة العودة ، ثم وضع كتاباً عنها يتضمن وصفاً حياً للبلدان التي شاهدها والأقوام التي صادفها والمعارك التي خاضها . وهكذا أصبح كتابه سجلاً فريداً من المعلومات النفيسة عن تلك الحقبة التأريخية .

أنها ليست المرة الأولى التي يترجم فيها هذا الكتاب الكلاسي الشهير . وأحسب أنها لن تكون الأخيرة . وقد سبق أن قمت بترجمة ما حواه الكتاب نصاً عن منطقتنا . وأضفت الى

الترجمة عدداً من التعليقات وأختصرت البقية . ومعظمها خطب وشروح طويلة يتكلم فيها «زينفون» عن أدواره ومواقفه وأفكاره . . . ونشرتها عام ١٩٧٣ تحت عنوان «مسيرة العشرة آلاف عبر كردستان» . أما السيد «يعقوب» فقد ترجم الكتاب كاملاً ، وأضاف توطئة قصيرة للمرحوم الأستاذ «فؤاد سفر» .

وحواشي وتعليقات عديدة . الكتاب مزيج من التأريخ والسيرة الذاتية وقد آثر السيد «يعقوب» ترجمته بأسلوب أدبي وأستخدم عدداً كبيراً من الكلمات التي يندر الأن أستعمالها في التداول اليومي . وهذه عينة من هذه الكلمات : «ميد» ، «لذب» ، «ذفاف» ، «الدلصة» ، «الغموس» ، «رسلة» ، «صيهب» ، «تداكم» ، «عرعرة» ، «غيدق» ، «اللدم» ، «شعلول» ،

«دلظ» ، «لز» ، «اللزب» ، و «مظ» . . لست أرى حكمة هنا في اللجوء الى أستخدام هذه الكلمات «المندثرة» بدلاً من الأستعانة بالكلمات الدارجة الحية . فالتطور سمة الحياة ، وتطور اللغة بأتجاه سهولة اللفظ ووضوح المعنى دليل على الحيوية . والكلمات ، بل اللغات ، التي أنفصلت عن الحياة اليومية «تندثر» بصورة طبيعية ولا جدوى من النفخ في صورها لأحيائها ، بعد فقدانها مبرر وجودها الا وهو التداول الأعتيادي . أن المكان المناسب لهذه الكلمات هو متحف الآثار .

يلاحظ أيضاً في الترجمة شيء من عدم الدقة وبعض الأخطاء الواضحة في الهوامش والتعليقات .

فقد أختار المترجم «حملة العشرة آلاف – الحملة على فارس» عنواناً للكتاب ، وهو عنوان لا ينطبق على «واقع الحال» وقد يقود الى الألتباس أذ يستشف منه أن عدد المرتزقة الأغريق – في الحملة كان عشرة الاف مرتزق بينما كان عدد المرتزقة الأغريق

في بدء الحملة ثلاثة عشر ألفاً . ولم يصبح عددهم عشرة آلاف الا في مسيرة العودة ، بعد مقتل «كورش» في معركة «كونا كسا» قرب «بابل» . وهذا العدد هو الذي أنسحب وتراجع بقيادة «زينفون» في المرحلة الأخيرة من الحملة . ومن هنا جاءت التسمية الأصلية الشهيرة للكتاب الا وهي أنسحاب أو رجعة العشرة آلاف THE RETREAT OF THE TEN THOUSAND ولهذا فالكلام عن حملة ، بدل رجعة العشرة آلاف قد يخلق أنطباعاً خاطئاً حول عدد المرتزقة وطبيعة الحملة نفسها .

وينطبق هذا الأمر على العنوان الثانوي أيضاً أي «الحملة على فارس» ، فلم يكن الأغريق قد ساروا لشن هجوم على بلاد «فارس» بل كانوا قد ساروا كقوة مرتزقة في خدمة فارسي في صراع فارسي داخلي من أجل الأستيلاء على السلطة ولهذا كان من الافضل الالتزام بالترجمة الدقيقة للعنوان الأنكليزي "THE PERSIAN EXPEDITION" أي «الحملة الفارسية» وأظن أن الفرق بين العبارتين واضح .

أخطأ المترجم في الشرح الذي قدمه عن «الميديين» أذ أعتبرهم من الفرس بخلاف «زينفون» الذي يميز جيداً في الكتاب بين الميديين والفرس . فيتكلم في الصفحة ١٥٥ (من الترجمة) عن «أستيلاء الفرس على أمبراطورية الميديين . . .» وعن

«أحتلال الفرس لمدينة «لارسا» الميدية . . .» بعكس المترجم السيد يعقوب الذي يشير في هامشه على نفس الصفحة الى «الفرس الميديين» . كذلك يرجح المترجم في هامش على الصفحة ١١٤ أن تسمية نهر الزاب فارسية ، بحجة أن اليونانيين يطلقون أسم «لوتوس» على «الزاب الأعلى» وأسم «كابروس» على «الزاب الأسفل» ، ويستند في ذلك على قول المطران «ادي شير» .

وهي حجة واهية . فالزابان ينبعان كلياً من المنطقة الجبلية الكردية ولا علاقة لها بالفرس ، و «الزاب» كلمة كردية أصيلة مشتقة من «زا» الكردية بمعنى «نبع» ، ويطلق الكرد فعلاً أسم «زي» أي «النبع» على الزاب .

ومن الأخطاء الواضحة في الترجمة قول المترجم في الصفحة ٣٦ من الكتاب أن مدينة مايلتوس» هي «مدينة ملاطية حالياً في تركيا» وقوله ثانية عن مايلتوس

في الصفحة ٧٩ أنها «ملاطية حالياً على الساحل الغربي من تركيا» . أن «مايلتوس» مدينة مندثرة كانت تقع قرب «أزمير» على الساحل الغربي من تركيا . وهي ليست مدينة «ملاطية» الحالية ، فمن المعروف أن مدينة «ملاطية» لا تقع على الساحل الغربي من تركيا ، بل تقع على البر ، وفي الجنوب الشرقي من تركيا ، وتبعد عن الساحل الغربي حوالي الف كيلو متر . والواقع أن «ملاطية» قريبة نسبياً من الحدود العراقية ، أذ لا تبعد عن هذه الحدود الا مسافة ٣٧٥ كيلو متراً تقريباً .

كذلك أخطأ المترجم في الصفحة ١٨٢ عند الأشارة الى عبور الأغريق لنهر «كانترايتس» وذلك عند القول بأن «كانترايتس» هي التسمية الأغريقية لنهر دجلة «كما أفاد بذلك الأسقف أدي شير» أذ يفهم من هذه العبارة أن الأغريق عبروا دجلة في ذلك الموقع ، وهذا ما لم يحدث ، أذ لم يذكره «زينفون الأغريقي» الذي أشار مرات عديدة الى دجلة بالأسم الصحيح ، كذلك لم يظهر العبور المفترض في خارطة المسيرة المرفقة بالكتاب .

أن الأستاذين المرحومين «طه باقر و فؤاد سفر» يذكران في الصفحة ٥٥ من كتابهما «المرشد الى مواطن الآثار والحضارة» في معرض الحديث عن مدينة «زاخو» «أن زينفون عند تراجعه مع الجنود الأغريق من العراق قد مر في هذا الموضع وذكر قوم الكرد في الجبال الكثيرة القريبة من منطقة زاخو . . .» ولما لم يعبر الأغريق دجلة في تلك المنطقة ، كما يتضح من وصف زينفون «للمسيرة» وكما يتبين من الخارطة في الكتاب ، فلابد أن يكون «سنترايتس» أو «كنترايتس» أحد روافد دجلة ، كأن يكون نهر «جوليرك» أو نهر «بوتان» أو حتى «الخابور» لكنه لن يكون نهر دجلة بأي حال من الأحوال .

قد تعزى هذه الأخطاء في الشرح الى الأجتهاد المشروع في الرأي ، ولكن هنالك أخطاء ناجمة عن عدم الألتزام بالنص . ففي الصفحة ١٣٩ من الكتاب ترجمت عبارة (THE MARCH TO KURDISTAN) بـ «السير نحو شمال العراق» بدلاً من الزحف أو المسيرة الى كردستان» ، وفي الصفحة ١٧١ من الكتاب ترجمت عبارة (THE ENTRY TO KURDISTAN) بـ «الأيغال في شمال العراق» بدلاً من «الدخول الى كردستان» ، أن هذا الخروج عن النص في ترجمة أصطلاح جغرافي معروف ورد في سياق تأريخي قديم أمر لا مبرر له .

كان بأمكان المترجم أن يتلافى هذه الأخطاء والنواقص فتزداد الفائدة من الترجمة ، ومع هذا لابد من القول أنه قد بذل جهده في ترجمة كتاب يعتبر بحق واحداً من أمهات الكتب في العالم .